لقد هاج[1] الفراغ عليك شغلا * وأسباب البلاء من الفراغ

وقال آخر

توكل على الرحمن فى الأمر كله ولا ترغبَنْ فى العجز يوما

وقال غيره

لاتكوننّ للأمور هيوبا[2] فإلى خيبة يصير الهيوب

وقال غيره

إذا همّ لم تردع عزيمة همه ولم يأت ما يأتى من الأمر هائبا

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وقال غيره

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة ولا تك بالترداد للرأى مفسدا

فإنى رأيت الريث فى العزم هجنة وإنفاذ ذى الرأى العزيمة أرشدا

الألفة والأخوة

قضت الشريعة الإسلامية بالألفة والتآخى لما يعترض حالَنا فى هذه الحياة من العوائق والمصاعب. وما ينتابنا فيها من النوائب والمصائب. مما لا يقدر الفرد على احتماله أو دفع أضراره.

---

(١) أثار (٢) خائفا

فبالألفة والأخوة تتوطد العلائق بين الأفراد . وتقوى الرابطة بين الجماعات . ويعمل الكل متحدين على مكافحة معترضات الحياة وتذليل صعابها فتفتح أمامهم الطرق . ويسهل عليهم عبورها . حتى يصلوا إلى مايشاءون من بلوغ النجاح ونيل الآمال . ومن هذا يتضح لك سوء عاقبة من انشق على إخوانه وقطع حبل المودة فيما بينه وبينهم . فإنه لايزال تتخبطه الوساوس . وتتلقفه الحوادث ولا من يرشده أو يشاركه فى دفع ضر أو جر مغنم .

قال الله تعالى (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) وقال جل شأنه (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وقال عز وجل (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)

وقال رسول الله صلى الله وسلم (المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلَف) وقال عليه الصلاة والسلام (لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا) وقال عليه السلام (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا) وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أحبكم إلىّ أحاسنكم

أخلاقا الموطئون [١] أكنافا [٢] الذين يألفون ويؤلفون . وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة المُلتمسون العثرات المفرّقون بين الإخوان)

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه. لقاء الإخوان جلاء الأحزان

وقال على كرم الله وجهه لابنه . الغريب من ليس له حبيب

وقال ابن المعتز . من اتخذ إخوانا كانوا له أعوانا

وقال خالد بن صفوان . أعجز الناس من قصّر فى طلب الاخوان . وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم

وقال عبد الملك بن طاهر . المال غاد ورائح . والسلطان ظل زائل . والإخوان كنوز وافرة

وقال زياد . خير ما اكتسب المرء الإخوان. فانهم معونة على حوادث الزمان . ونوائب الحدثان [٣] . وعون فى السراء والضراء

وقال أحد الحكماء لابنه . يابنى لاتستقل عدوا واحدا . ولاتستكثر ألف صديق . ولاتستبدل بأخ قديم أخا مستحدثا ماستقام لك. وقال آخر . المودة والأخوة سبب التآلف والتآلف

---

(١) الوطىء السهل اللين (٢) الكنف الجانب (٣) الليل والنهار

سبب القوة . والقوة حصن منيع وركن شديد . وبها يُمنع الضيم [١]
وتُنال الرغائب . وتنجح المقاصد

وقال بعض الأدباء . أفضل الذخائر أخٌ وفيّ حميم صادق المودة لطيف الصحبة . يهتم لشأنك اهتمامه بشأنه ويتوفر [٢] على هنائك كما يتوفر على هنائه

وقال أحد الفصحاء . الصديق الحميم عدة فى البلايا . وعمدة فى المحَن [٣] وبَلْسَمٌ [٤] فى النوائب ومرهم فى الشدائد . وقال آخر لا تُساغ [٥] مرارة الأوقات إلا بحلاوة الإخوان الثقات فاستَرِوح [٦] من غمة الزمان بمؤانسة الخلان

وقال ابن الرومى

عليك بإخوان الصفاء فإنهم * عماد إذا استنجدتهم [٧] وظهور
وليس كثيرا ألف خِل وصاحبٍ * وإن عدوا واحدا لكثير

وقال عبد الله بن عرفة

هموم رجال فى أمور كثيرةٍ وهمى من الدنيا صديقٌ مساعدُ
نكون كروح بين جسمين قُسِّمتْ * فجسماهما جسمان والروح واحدُ

---

(١) الظلم (٢) يحافظ (٣) ما يمتحن بها الانسان من بلية وغيرها (٤) دواء (٥) ساغ الشراب سهل مدخله فى الحلق (٦) استروح بمعنى استراح (٧) استعنت بهم

وقال الشاعر

فإنما الرجال بالإخوان ... واليد بالساعد والبنان[١]

وقال آخر

لا يحقر الصحبة إلا جاهل ... أو مارق[٢] عن الرشاد غافلُ

وقال غيره

وما المرء إلا بأخوانه ... كما تُقبض الكف بالمِعصم[٣]

ولا خير فى الكف مقطوعة ... ولا خير فى الساعد الأجذم[٤]

اختيار الأصدقاء

الناس فى هذه الحياة متفاوتوا الأخلاق متباينوا المشارب فمنهم من ساءت أخلاقهم فنزعت نفوسهم إلى الشهوات ومالوا إلى اللذات . فما عرفوا غير إشباع نهمتهم[٥] . وما راعوا غير العمل لأهوائهم . فهؤلاء لا خير يُرجى منهم ولا منفعة تعود على المجتمع الإنسانى من ورائهم. فالابتعاد عنهم راحة . وعدم الارتباط بهم وقاية. ومنهم من حسنت طباعه فقمع نفسه عن لذاتها . وردعها

---

(١) أطراف الأصابع (٢) خارج (٣) موضع السوار من الساعد (٤) المقطوع
(٥) النهم افراط الشهوة فى الطعام

من شهواتها . وعمل للمنفعة العامة . وسار فى طريق الاصلاح وهذا هو الجدير بالألفة . والخليق بالتودد . فالخير مقرون بمصاحبته والسعادة مقرونة بمصادقته . لأن نفسه الطاهرة تطمح على الدوام إلى الكمال وقلبه الثابت مشرئب [1] لنيل معالى الأمور والمرء على دين خليله

قال الله تعالى (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) وقال فى مَعْرِض التَّحْذِير من قرناء السوء مبينا ندامة من لم يحتط لنفسه فى اختيار من يصادق (يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) وقال تعالى (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عليكم بإخوان الصدق. فإنهم زينةٌ فى الرَّخاء . وعِصْمةٌ فى البلاء) وقال عليه الصلاة والسلام (المرء كثير بإخوانه . ولاخيرَ فى صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ماترى له) ورَوى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل) وعنه عليه السلام أنه قال (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد . فصاحب المسك إما أن

(١) أشرب فى قلبه حبه أى خالطه

تشترى منه أو تجد ريحا طيبة . وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة)

وقال على كرم الله وجهه خير إخوانك من واساك وخير منه من كافاك

وقال عبد الله بن جعفر . عليك بصحبة من إذا صحبته زانك وإن غبت عنه صانك وإن احتجت إليه مانك[1] . وإن رأى منك خلة[2] سدّها[3] أو حسنةً عدّها

وقال لقمان لابنه . يابنى لاتجالس الفجّار ولاتماشهم . اتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك معهم . وجالس الفضلاء والعلماء . فإن الله تعالى يحيى القلوب الميتة بالفضيلة كما يحيى الأرض بوابل[4] المطر

وأوصى أمير المؤمنين أولاده . قال يابنى عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنّوا إليكم . وإن فُقدتم بكَوا عليكم . إن القلوب جنود مجنّدة تتلاحظ بالمودة . وتتناجى[5] بها . وكذلك هى فى البغض . فإن أحببتم الرجل من غير خير سبق منه إليكم فارجوه . وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه

---

(١) قام بكفايتك (٢) عيبة وثلمة (٣) أصلحها (٤) شديد (٥) تتسار

وقيل لابن السماك : أى الاخوان أحق ببقاء المودة . قال الوافر دينه . الوافى عقله الذى لا يملك على القرب . ولا ينساك على البعد . إن دنوت منه دانا ك وإن بعدت عنه راعاك . وإن استعنت به عضدك . وإن احتجت إليه رفدك [1] وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله

وقال بعض الحكماء .

احذر من الكريم إذا أهنته . واللئيم إذا أكرمته والعاقل إذا أحرجته [2] . والأحمق إذا مازحته . والفاجر إذا عاشرته وقال آخر . الصديق النصوح من بصّرك مواضع رشدك . وعواقب غيّك وقال غيره . معاشرة ذوى الألباب عمارة القلوب . وصداقة الجاهل تعب وقال غيره . شر الإخوان الواصل فى الرخاء . الهاجر عند الشدة

وقال بعض البلغاء . من خير الاختيار صحبة الأخيار . ومن شر الاختيار مودة الأشرار وقال آخر . اصعب من الإخوان من أولاك جمائل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة فنسى جمائله . وبقى شاكرا ذاكرا لجميلتك يوليك عليها الإحسان الجميل . ويجعل

---

(١) أعطاك وأعانك (٢) أحرجه آثمه

أنه ما بلغ من مكافأتك القليل.

وقال غيره الصديق من استروحت إليه النفس. واطمأن إليه القلب

وقال أوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد الذى يذمك إن ولّى ويرضيك مقبلا
ولكن أخوك النائى ما دمت آمنا
وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا (١)

وقال أبو تمام

من لى بانسان إذا أغضبتُه وجهلت كان الحلم ردّ جوابه
وإذا صبوتُ (٢) إلى المُدام شربت من
أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بطرفه وبقلبه ولعلّه أدرى به

وقال الأحنف بن قيس

أخوك الذى إن تدْعه لملمة
يجبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

وقال الشاعر

---

(١) اشتد واستغلق (٢) صبا اليه • حنن

إن أخاك الصدق من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب[1] الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

وقال آخر :

ليس الصديق الذى إن زل صاحبه
يوما رأى الذنب منه غير مغفور
وإن أضاع له حقا فما تبه فيه أتاه بتزويق المعاذير
إن الصديق الذى تلقاه يعذر فى ما ليس صاحبه فيه بمعذور

وقال غيره

إن كنت متخذا خليلا فتنق[2] وانتقد الخليلا
من لم يكن لك منصفا فى الود فابغ به بديلا
ولقلما تلقى اللئـــيم عليك إلا مستطيلا

وقال غيره

واحذر مؤاخاة الدنى لأنه يعدى كما يعدى الصحيح الأجرب
واختر صديقك واصطفيه تفاخرا إن القرين إلى المقارن يُنسب
ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا
إن الكذوب لبئس خِلاً يُصْحَبُ

---

(١) حوادث (٢) اختر

المعاتبة

لما كان التآخى والتآلف بين الناس من التعاليم الشرعية والنظم الأدبية . وكان من الواجب أن يعمل المرء على دوام العلائق واستمرار الروابط . ولا يتم ذلك مع من اختارهم لصحبته . ورضيهم لأخوته إلا باحتمال عثراتهم . والصفح عن هفواتهم كان من المحتم عليه ألا يقطع أخاه لأول وهلة . أو يتركه لا يسر كبوة بل يعاتبه على ما صدر منه بالحجة والبرهان بقصد إصلاحه لا لغرض تعنيفه . وليلاحظ عدم الإغراق فى العتاب . فإن ذلك يوجب مجانبته وقطع مصاحبته . وقد ورد فى احتمال الأذى آثار كثيرة

فقال تعالى (وَالْكَاظِمِينَ [1] الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وقال جل شأنه (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى أمرنى بمداراة الناس كما أمرنى بأداء الفرائض) وقال عليه الصلاة والسلام

(١) الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه

(مداراة الناس صدقة) وروى البيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لابد له من معاشرته حتى يجعل الله له من ذلك مخرجا) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (من اعتذر إليه أخوه المسلم من ذنب قد أتاه فلم يقبل منه لم يرد على الحوض غدا) ورُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى إن شئت يارسول الله . قال إن شراركم الذى ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده . قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك . قالوا بلى إن شئت يا رسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه . قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك . قالوا بلى إن شئت يارسول الله . قال الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنبا . قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك . قالوا بلى يارسول الله قال من لا يُرجى خيره ولا يؤمن شره)

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . أعقل الناس أعذرهم للناس

وقال على كرم الله وجهه . لاتقطع أخاك على ارتياب . ولا تهجره دون استعتاب

وقال معاوية . لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت لأنهم إذا جذبوها أرسلتها . وإذا أرسلوها جذبتها

وقال الأحنف . من حق الصديق أن يتحمل ثلاثا ظلم الغضب وظلم الدالّة[1] وظلم الهفوة

وقال أحد الحكماء . إذا رأيت من أخيك أمرا تكرهه أو خلّة لا تحبها . فلا تقطع حبلهَ ولا تصرم[2] وُدّه . ولكن داوِ كَلْمَه[3] واستر عورته وأبقه وابرأ من عمله

وقال آخر . مما يجب للصديق على الصديق الإغضاء عن زلاته والتجاوز عن سيئاته فإن رجع وأعتب[4] وإلا عاتبه بلا إكثار . فإن كثرة العتاب مَدْرَجَةٌ[5] للقطيعة . وقال غيره . لا صديق لمن أراد صديقا لا عيب فيه . وقال غيره لا تقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه . وقال غيره . كل عقل لا يُدارى به الكل فليس بعقل تام

وقال بعض الأدباء . ثلاث خصال لا تجتمع إلا في كريم . حسن المحضر . واحتمال الزلة . وقلة الملال

---

(١) الأعلى (٢) لا تقطه (٣) جرحه (٤) أرضى (٥) طريق وسبيل

وقال بعض البلغاء . من لا يؤاخى إلا من لا عيب فيه قلّ[1] صديقه . ومن لم يرض من صديقه إلا بإيثاره على نفسه دام سخطه ومن عاتب على كل ذنب دام عتبه وكثر تعبه

وقال ابن عباس

يا صديقى الذى بذلت له الو ... دّ وأنزلته على أحشائى
إن عينا قذّيتها[2] لتراعيـ ... ـك على ما بها من الأقذاء
ما بها حاجة إليك ولكن ... هى معقودة بحبل الوفاء

وقال أحمد بن أبان

إذا أنا لم أصبر على الذنب من أخ ... وكنت أجازيه فأين التفاضل
ولكن أداويه فإن صح سرنى ... وإن هو أعيا[3] كان منه تحامل

وقال بشار بن برد

إذا كنت فى كل الأمور معاتبا ... صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
وإن أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه ... مقارف[4] ذنب مرة ومجانبه

---

(١) أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه (٢) تذى عينه القى فيها القذى (٣) أعجز
(٤) قارف الذنب خالطه

وقال زهير بن أبي سلمى

ومن لم يصانع في أمور كثيرة
يُضَرَّس بأنياب ويوطأ بمنسم (١)

وقال الشاعر

مادمت حيا فدار الناس كلهم فإنما أنت في دار المداراة

من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى
عما قليل نديما للندامات

وقال آخر

وكنت إذا الصديق أراد غيظي وشرَّقني (٢) على ظمأ بريقي
غفرتُ ذنوبَه وكظمت غيظي مخافة أن أعيش بلا صديق

وقال غيره

ولست براء عيب ذي الود كلَّهُ ولا بعضَ ما فيه إذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة (٣)
ولكنّ عينَ السخط تُبدي المساويا

وقال غيره

ودار جميع الناس مادمت بينهم وكن تابعا حقا نبيا مداريا

---

(١) المنسم خف البعير (٢) الشرق الغصة {٣} العين الكليلة هي التي لا تنفذ المنظور ولا تحققه

الكلام

هو واسطة التعارف بين الناس والتعاون معهم . فلا يستغنى المرء عن محادثة غيره في شؤون الحياة ونظم الأعمال . ولما كان الكلام هو عنوان درجة الشخص . ودليل جوهر نفسه بين النفوس وجب أن يكون صحيحا مختارا اذا فائدة . صادرا عن عقل وروية وصدق وحسن طوية . بعيدا عن البطلان والسخرية . قليلا على قدر الكفاية . فإن الكلام الكثير ينسى بعضه بعضا . وتكراره يدعو إلى السآمة والملل . وقلما سلم مكثر من لغو وهذر

قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) وَقَالَ تَعَالَى (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم) وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ (يا معاذ أنت سالم ما سكت فإذا تكلمت فعليك أو لك) وقال عليه السلام

(أبغضكم إلىّ المتفيهقون [١] المكثار واللّيغ [٢] المهذار [٣]) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (إن الله تعالى يكره الانبعاق [٤] في الكلام فرحم الله عبدا أوجز في كلامه) وقال عليه السلام (وهل يكبّ الناسَ على وجوههم أو مناخيرهم في النار إلا حصائد [٥] ألسنتهم) وقال (هلك المتنطّعون [٦]) وقال عليه السلام مثنيا على الكلام الذي يتحرى فيه صاحبه مايجب أن يتحراه (إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة)

وقال علي كرم الله وجهه . احسبوا كلامكم من أعمالكم وأقلّوه إلا في الخير . وقال أيضا . اللسان مهيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل وقال خير الكلام ماصدقه الفعال

وقال أبو الأسود الدؤلي لابنه يابني إن كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك ولا بكلام من هو دونك فيزدروك

وقال جعفر بن يحيى . إذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيا وإن كان الإكثار واجبا كان التقصير عجزا

---

(١) تفيهق في كلامه توسع وتنطع (٢) ألغ ألحف (٣) أهذر في كلامه أكثر فهو مهذار أي هاذ (٤) الانصباب فيه بشدة (٥) ماقيل في الناس باللسان وقطع به عليهم (٦) المتكلفون المتعمقون

وقال المهلب . لأن أرى لعقل الرجل فضلا على لسانه أحب إليّ من أن أرى للسانه فضلا على عقله

وقال بطليموس . افرح بما لم تنطق به من الخطأ أكثر من فرحك بما نطقتَ به من الصواب

وقال بعض الحكماء . اعقل لسانك إلا عن حق توضحه أو باطل تَدْحَضُه [١] . أو حكمة تنشرها أو نعمة تذكرها . وقال آخر . بكثرة الصمت تكون الهيبة . وبعَدْل المنطق تُجلب الجلالة وقال غيره . إنما هلك الناس بفضول الكلام وفضول المال . وقال غيره من أعجب بقوله كثر زلَلُه وقلّ سامعوه . وليس لكثرة الهذَر نفع يوازى ضرّه

وقال بعض البلغاء . الزم الصمت فانه يكسبك صفو المحبة : ويؤمنك سوء المغبة ويلبسك ثوب الوقار . ويكفيك مَؤنة الاعتذار . وقال آخر . احبس لسانك قبل أن يطيل حبسَك . أو يتلف نفسك : فلا شيء أولى بطول حبس من لسان يَقْصُر عن الصواب . ويُسرع إلى الجواب . وقال غيره . الكلمة أسيرة فى وثاق [٢] الرجل فإذا تكلم بها صار فى وثاقها . وقال غيره . رب ألسنة كالسيوف

---

(١) تبطله (٢) الوثاق ما يشد به من قيد أو حبل ونحوه

تقطع أعناق أصحابها

وقال بعض الأدباء . سمد من لسانه صموت وكلامه قوت.

وقال آخر . الكلام فى الخير كله أفضل من الصمت . والصمت فى الشر كله أفضل من الكلام

وقال بعض العقلاء . أشد الناس بلاء وأكثرهم عناء من له لسان مُطلَق وقلب مُطبَق [١] . فهو لا يستطيع أن يسكت ولا يحسن أن يتكلم

وقال بعض العلماء من أعوز ما يتكلم به العاقل ألا يتكلم إلا لحاجته أو لحجته . ولا يفكر إلا فى عاقبته أو فى آخرته

وقيل لإياس بن معاوية . ما فيك عيب إلا كثرة الكلام . قال أفتسمون صوابا أو خطأ . قالوا بل صوابا . قال فالزيادة من الخير خير

وقيل . إذا تم العقل نقص الكلام

وقال أبو الفتح البُستى

تكلّمْ وسدِّدْ [٢] ما استطعت فإنما
كلامُك حيٌّ والسكوت جَمادُ

---

(١) مغلق (٢) السداد والسديد الصواب والقصد من القول والعمل

فإن لم تجد قولا سديدا تقوله ... فصمتك عن غير السديد سداد

وقال أيضا

إذا تحدثت فى قوم لتؤنسهم ... بما تحدث من ماض ومن آت

فلا تعد لحديث إن طبعهم ... موكل بمعاداة (١) المعادات (٢)

وقال صالح بن عبد القدوس

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة (٣) فى كل ناد (٤) تخطب

واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويعطب (٥)

وقال الشاعر

لسانك احفظه وصن نطقه ... واحذر على نفسك من عثرته

فالصمت زين ووقار وقد ... يؤتى (٦) على الإنسان من لفظته

من أطلق القول بلا مهلة ... لا شك أن يعثر فى عجلته

من لزم الصمت نجا سالما ... لا يندم المرء على سكتته

وقال آخر

إن القليل من الكلام بأهله ... حسن وإن كثيره ممقوت

مازلّ ذو صمت ومامن مكثر ... إلا يزل ومايعاب صموت

إن كان ينطق ناطق من فضة ... فالصمت درّ زانه الياقوت

---

(١) بغض (٢) التكرار (٣) كثير الكلام تكلفا (٤) مجلس (٥) يهلك (٦) أتى الدهر عليا أهلكه

وقال غيره

رأيت العز فى أدب وعقلٍ ... وفى الجهل المذلة والهوانُ
وماحسن الرجال لهم بحسنٍ ... إذا لم يُسعدالحسنَ البيانُ
كفى بالمرء عيباً أن تراه ... له وجه وليس له لسانُ

وقال غيره

وزن القول من قبل الكلام فإنما ... يدل على قدر العقول التكلم

المزاح والضحك

خلتان غير ممدوحتين مالم تكونا فى حد الظَّرف [1] والكمال مع مراعاة الظروف الخاصة بهما . بقصد ترويح النفس . وتفريج السآمة . ليستأنف المرء عمله بالجد والنشاط . مع التزام الأدب والصدق . كى يكون محفوظ القدر . موفور الكرامة . أما إذا خرج الإنسان بهما عن موضع الجِد والاحترام . وحد الحشمة والوقار فقد عرَّض نفسه للازدراء والاحتقار . وبئست حال من لم يعرف لنفسه قدرها . ولم يحفظ لكرامته مقامها فى هذا المجتمع

قال تعالى مخاطبا القوم هذا شأنهم (ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ

---

(١) الجد . وهو ضد الهزل

فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إني لأمزح ولا أقول إلا حقًا) وقال عليه الصلاة والسلام (إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه) وعن عائشة رضي الله عنها قالت (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قطُّ ضاحكا حتى ترى منه لهواته[1] إنما كان يتبسم) وروي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الصمت سيد الأخلاق ومن مزح استُخفَّ به)

وقد ورد (المزاح استدراج من الشيطان واختداع من الهوى)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه. التبسم أبلغ في الإيناس[2] من الضحك الذي قد يكون استهزاء وتعجبا

وقال الحجاج بن يوسف الثقفي. المزاح يوغر[3] صدر الصديق. وينفر الرفيق. ويبدي السرائر. ويظهر المعايب[4]. ويجلب الشتم ويثير الحقد

وقال عمر بن عبد العزيز. اتقوا المزاح فإنه حمقة تورث ضغينة

وقال بعض الحكماء. الضحك شاغل عن النظر في الأمور المهمة.

---

(١) جمع لهاة وهي اللحمة التي في أقصى سقف الفم (٢) التأنيس والمؤانسة
(٣) يوقده غيظا (٤) المعايب

مذهل عن الفكر في النوائب الملمة . وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار . ولا لمن وُصِم [١] به خطر [٢] ولا مقدار

وقال أحد الأدباء . على العاقل أن يتقى المزح . وينزه نفسه عن وصمة مساويه فإنه مَخْرَج إلى القطيعة . ومذهبة للهيبة والبهاء . ومدعاة لتجرؤ الغوغاء والسفهاء . وقال غيره الضحك كالمزاح يلزم تحاميه [٣] والنفور منه . والأحرى بالعاقل أن يبدل الضحك عند الإيناس بالتبسم .

وقال بعض البلغاء . من قل عقله كثر هزله . وقال آخر احذر فلتات [٤] المزاح فسقطة الاسترسال [٥] لا تُقال

وقيل . المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب . وقيل أيضا كثرة الضحك من الرعونة [٦] وضحكة المؤمن غفلة من قبله

وقال النيسابوري

شر مزاح المرء لا يُقال وخيره ياصاح لا يُنال

وقد يُقال كثرة المزاح من الفتى تدعو إلى التلاحي [٧]

إن المزاح بدؤه حلاوه لكنما آخره عداوه

---

(١) الوصم العيب والعار (٢) قدر ومنزلة (٣) التحامى . الاجتناب والتوقى (٤) هفوات وزلات (٥) الانبساط والاتساع فى الكلام وغيره (٦) الحمق (٧) التنازع

يحتدمه الرجل الشريف ويجتري بسخفه السخيف

وقال ناصح الدين

لاتجعل الهزل دأبا فهو منقصة
والجِدُّ تعلو به بين الورى القِيَمُ
ولا يغُرَّنْك من ملك تَبَسُّمُهُ
ماسحَّت[1] السُّحب إلا حين تبتسمُ

وقال على كرم الله وجهه

ودع المزاح فرب لفظة مازِح جلبت إليك بَلا بِلا[2] لا تُدفعُ

وقال الشاعر

أفد طبعك المكدودَ بالجد راحة
يَجِم[3] وعلِّلْه[4] بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار مايُعطى الطعام من الملح

وقال آخر

واحذر من المزح كم فى المزْح من خطرٍ
كم من صديقين بعد المزح فاختصما

* * *

(١) سالت (٢) هموما (٣) يسكت (٤) علله بالشيء لهاه به

الاعتبار

هو الاتعاظ بحوادث الزمان . والانتصاح بنصائح الحدثان فالعاقل من أخذ في أموره بالثقة . وسار في أحواله بالحيطة كي تقل عثراته . وتنقطع هفواته . ومن الجهل الفاضح أن ينظر الإنسان للحوادث نظر متفرج غير متدبر . لا نظر متفكر معتبر . ولذلك تراه يقع فيما وقع فيه غيره . ولعمر الحق إن هذا لخطأ فادح لا ينبغي أن يكون من العقلاء . فيجب تداركه والعمل على تلافيه وليحرص كل الحرص أن يكون لنفسه من الأيام واعظ ومن الحوادث رادع ومرشد . ليعيش عيشة الآمنين السعداء

قال الله تعالى (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ) وقال تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) وقال جل شأنه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) وقال عز وجل (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى [1])

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (السعيد من وُعظ بغيره)

---

(١) العقول

وقال بعض الحكماء. كفى بالتجارب تأديبا. وبتقلب الأيام عظة. وقال آخر إن للباقي بالماضي معتبرا وللآخر بالأول مزدجرا والسعيد لا يركن إلى الخِدَع ولا يغتر بالطمع. وقال غيره السعيد من اعتبر بأمسه

وقال بعض الفصحاء كفى بالدهر مخبرا بما مضى عما بقى. وكفى عبرا لأولى الألباب ما جربوا.

وقال بعض البلغاء. ما أكثر العِبَر لمن نظر وأنفعها لمن اعتبر

وقيل لأحد الحكماء. من أدبك. قال ما أدبنى أحد رأيت الجهل قبيحا فاجتنبته وقيل. من كثر اعتباره قل عِثاره[1] وقيل أيضا. العاقل من اتعظ بغيره واعتبر به

وقال إبراهيم بن شكله

من لم يؤد به والداه ... أدبه الليل والنهار
كم قد أذلّ كريم قوم ... ليس له منهما انتصار
من ذا يد الدهر لم تنله ... أو اطمأنت به الديار
كلٌّ عن الحادثات مغضٍ[2] ... وعنده للزمان ثار

وقال طاهر بن الحسين

---

(١) سقطاته وزلاته (٢) غض عنه طرفه اذا خفضه وصرفه

إذا أعجبتك خصال امرئ فكُنْه يكن منك ما يعجبك
فليس على المجد والمكرمات إذا جئتها حاجب [١] يحجبك

وقال سليمان بن وهب

نوائب الدهـــر أدَّبتنى وإنما يوعظ الأديب
قد ذقت حلوا وذقت مُرًّا كذاك عيش الفتى ضروب [٢]
لم يمض بؤس ولا نعيم إلا ولى فيهما نصيب
كذاك من صاحب الليالى تغذوه من دَرّها [٣] الخُطوب

وقال عدى بن حاتم

كفى زاجرا للمرء أيام دهره
تروح [٤] له بالواعظات وتغتدى [٥]

وقال الشاعر

من لم تفده عبرا أيامه كان العمى أولى به من الهدى

وقال آخر

وافطن لصرف الدهر والعجائب فإنه لا علم كالتجارب
كفاك من عاشرت من إخوان معرفة بصورة الزمان

---

(١) مانع (٢) أصناف (٣) الدر اللبن (٤) تذهب اليه فى الرواح أى عشية (٥) تذهب غدوة أى بكرة

وقال غيره

الدهر أدبنى والصبر ربانى ... والقوت أقنعنى واليأس أغنانى
وحنكتنى[1] من الأيام تجربة ... حتى نهيت الذى قد كان ينهانى

وقال غيره

وما أبقت لك الأيام عذراً ... وبالأيام يتعظ اللبيب

وقال غيره

وأغزر[2] الناس عقلا من إذا نظرت ... عيناه أمرا غدا بالغير معتبرا

قمع النفس عن الهوى

للنفس نزعات شيطانية . ولذات شهوانية . فإذا هى تُركت وشأنَها تعثى وراء لذاتها . وتسير فى سبل شهواتها . فنزعت من الشر فى كل منزع . فلا شك أنها تودى بصاحبها فى الهلاك . فيردى فى مهاوى الردى : أما من تغلب على نفسه وقادها بعقل راجح . وفكر ثابت . ومنعها عن أطماعها الدنيئة . وكفها عن شهواتها الخسيسة . فإنه يكون بعيدا عن مواطن الشقاء والهلاك . غير مرتكب إثما ولا متحمل وزرا . وسيجزيه الله الجزاء الأوفى مع المتقين

{١} هذبتنى (٢) أكثر

قال الله تعالى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) وقال تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا[١] وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا[٢]) وقال جل شأنه (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) وقال عز وجل (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الكيّسُ[٣] من دانَ نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني) وقال عليه الصلاة والسلام (المجاهد من جاهد نفسه وهواه) وقال عليه السلام (أعدى عدوك نفسُك التي بين جنبيك) ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال(إياكم والهوى فإن الهوى يُصم ويُعمي)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . اقدَعوا[٤] هذه النفوس عن شهواتها فإنها طلاعة تنزع إلى شر غاية . إن هذا الحق ثقيل مرئ . وإن الباطل خفيف وبيّ . وتركُ الخطيئة خير من مُعالجة التوبة .

---

(١) فازت وسعدت نفس أصلحها الله وطهرها (٢) خابت وخسرت نفس أضلها الله وأفسدها (٣) العاقل (٤) ادفعوا

ورب نظرة زرعت شهوة . وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا

وقال علي كرم الله وجهه . أخاف عليكم اثنين اتباع الهوى . وطول الأمل . فإن اتباع الهوى يصد عن الحق . وطول الأمل ينسي الآخرة . وقال إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم فإن عاجلها ذميم وآجلها وخيم

وقال الشعبي . إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه .

وقال ابن السماك كن لهواك مسوفا ولعقلك مسعفا وانظر ماتسوء عاقبته فوطن نفسك على مجانبته فإن ترك النفس وما تهوى داؤها وترك ماتهوى دواؤها . فاصبر على الدواء كما تخاف من الداء

وقال بعض البلغاء . من أصلح نفسه أرغم [1] أنف أعاديه . ومن أعمل جده بلغ كُنه [2] أمانيه . وقال آخر أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعا لك . وقال غيره . من أمات شهوته فقد أحيا مروءته . وقال غيره الهوى عسوف [3] . والعدل مألوف

وقال بعض العلماء . ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة . وركب البهائم من شهوة بلا عقل . وركب ابن آدم من كليهما فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة . ومن غلبت شهوته على

---

(١) الصقه بالتراب {٢} نهاية آماله (٣) ظلوم

عقله فهو شر من البهائم

وقيل لبعض الحكماء . من أشجع الناس وأحراهم بالظفر في مجاهدته . قال من جاهد الهوى طاعة لربه . واحترس في مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه . وقيل . العقل وزير ناصح . والهوى وكيل فاضح . وقيل أيضا من أطاع هواه أعطى عدوه مناه

وقال علي كرم الله وجهه

ضن النفس واحملها على مايزينها ... تعش سالما والقول فيك جميل

ولا ترينّ الناس إلا تجملا ... نبابك[1] دهر أو جفاك خليل

وقال أبو الفتح البستي

ياخادم الجسم كم تشقى بخدمته ... لتطلب الربح مما فيه خسران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وقال الشاعر

إذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى ... فقد ثكلته عند ذاك ثواكله

وقد أثمت الأعداء جهلا بنفسه

وقد وجدت فيه مقالا عواذله[2]

---

(١) تجافى وتباعد {٢} لاثموه

وما يُردع النفس اللجوح[١] عن الهوى
من الناس إلا حازم الرأى كامله

وقال آخر

يا عاقلا أردى[٢] الهوى عقله ما لك قد سُدّت عليك الأمور
أتجعل العقل أسير الهوى وإنما العقل عليه أمير

وقال غيره

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت
ولم ينهها تاقت[٣] إلى كل باطل
وساقت إليه الإثم والعار بالذى دعته إليه من حلاوة عاجل

وقال غيره

وماشرف الإنسان إلا بنفسه أكان ذوو سادة أم مواليا[٤]

كتمان السر

هو من أفضل الأخلاق وأكبر الفضائل. به تُصان الأعراض وتُحفظ الأرواح وتلتئم الجماعات. فرب سر أفشيته جلب شرا مستطيرا. وأحدث فتنة أهلكت خلقا كثيرا. ولهذا كان من

(١) لجت النفس لازمت واظبت وأبت أن تنصرف (٢) أهلك (٣) اشتاقت (٤) عبيدا

الواجب على الإنسان أن يخفى سره ما استطاع وإلا عرض نفسه إلى أضرار كثيرة لا قبل له بها . وحينئذ لا يمكنه دفع مايترتب على ذلك من الأخطار فيمض سبابة المتندم . ولا ينفعه الندم بعد ما انقضى الأمر

قال الله تعالى (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) وقال جل شأنه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)

وقال رسول الله صلى الله وسلم (استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان فإن كلّ ذى نعمة محسود) وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن من أشر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة الرجلَ يُفضى [1] إلى المرأة وتفضى إليه ثم ينشر سرّها) وعن ثابت عن أنس رضى الله عنه أنه قال (أتى علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا فبعثنى فى حاجته فأبطأت على أمى . فلما جئت قالت ما حبسك فقلت بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة قالت ما حاجته . قلت إنها سر قالت لاتخبرن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) يبوح

أحدا. قال أنس والله لو حدثت به أحدا لحدثتك به يا ثابت) وقال عليه الصلاة والسلام (إذا حدث رجل رجلا بحديث ثم التفت فهو أمانة)

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . من كتم سره كان الخيار فى يده . وكان يقول رضى الله عنه . ما أفشيت سرى إلى أحد قط فلمته إذ كان صدرى به أضيق

وقال على كرم الله وجهه . سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره

وقال عمر بن عبد العزيز . القلوب أوعية الأسرار والشفاة أقفالها . والألسن مفاتيحها . فليحفظ كل امرئ مفتاح سره

وقال أنوشروان . من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته . والسلامة من السطوات

وقال بعض الحكماء لابنه . يابنى كن جوادا بالمال فى موضع الحق . ضنينا بالأسرار عن جميع الخلق . فإن أحمد جود المرء الإنفاق فى وجه البر . والبخل بمكتوم السر . وقال آخر . انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل . ولا جاهلا فيخون . وقال غيره من أفشى سره كثر عليه المتآمرون

وقال بعض الأدباء . أضعف الناس من ضعف عن كتمان سره . وأقواهم من قوى على غضبه . وأصبرهم من ستر فاقته . وأغناهم من قنع بما تيسر له . وقال غيره . كم من سر أراق إفشاؤه دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه . ولو كتمه لأمن من سطوته . وسلم من عواقبه

وقال بعض الفصحاء من عجائب الأمور أن الأموال كلما كثر خزانها كان أوثق لها . وأما الأسرار فإنها كلما كثرت خزانها كان أضيعَ لها . وقال آخر ما أسرك ما كتمتَ سرك . وقال غيره . من لم تغيبه الأضالع . فهو مكشوف ضائع

وقال بعض العقلاء إظهار الرجل سر غيره أقبح من إظهاره سر نفسه . لأنه يبوء باحدى وصمتين . الخيانة إن كان مؤتمنا . والنميمة إن كان مستودعا

وقيل . من أفشى سره أفسد أمره . ومن كتم سره ملك أمره . وقيل أيضا . قلوب العقلاء حصون الأسرار . وليحذر صاحب السر أن يودع سره من يتطلع إليه . ويؤثر الوقوف عليه . فإن طالبَ الوديعة خائن

وقال أنس بن أسَيد

ولا تفش سرّك إلا إليك فإن لكل نصيح نصيحا
فإني رأيت وشاة الرجال لا يتركون أديما[1] صحيحا

وقال الشاعر

لا يكتم السر إلا كل ذى ثقةٍ والسر عند خيار الناس مكتوم
فالسر عندى فى بيت له غلقٌ[2] ضاعت مفاتيحه والباب مختوم

وقال آخر

والسر فاكتمه ولا تنطق به إن الزجاجة كسرها لا يُشعب[3]
وكذاك سر المرء إن لم يطوه نشرته ألسنة تزيد وتكذب

وقال غيره

ومستودعى سرا تضمّنت سره
فأودعته من مستقر الحشا[4] قبرا
ولكننى أخفيه عنى كأننى من الدهر يوما ما أحطت به خُبرا[5]

وما السر فى قلبى كميت بحفرة
لأنى أرى المدفون ينتظر النشرا[6]

وقال غيره

---

(١) فلان صحيح الأديم أى صحيح الاصل والعرض (٢) المغلاق الذى يغلق به الباب (٣) لا يجمع ولا يجبر (٤) الاحشاء وهى الامعاء (٥) علما (٦) البعث من القبور

إذ ماضاق صدرك عن حديث وأفشته الرجال فمن تلوم
وإن ماتبت من أفشى حديثى وسرى عنده فأنا الملوم

وقال غيره

ولست بمُبدٍ للرجال سريرتى ولاأنا عن أسرارهم بسؤول

وقال غيره

صن السر عن كل مستصحب وحاذر فما الرأى إلا الحذر

النهى عن السؤال

يقضى نظام هذه الحياة على الإنسان أن يسعى ويعمل لطلب الرزق من وجوهه المشروعة حتى لايمد يده للناس . فإنه إذا قعد عن العمل ولزم البطالة والكسل . فلا شك أن تسوء حاله . وتنحط نفسه . ويضيق عيشه . فيلجأ إلى السؤال . وأى عاقل يرضى لنفسه بهذه الحال التعيسة . بل وكيف يقبل أن يكون عضوا أشل فى الهيئة الاجتماعية لايُقام له وزن ولاتُعرف له قيمة . قال تعالى فى مقام الثناء على من لايسأل الناس شيئا

(لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا [1]) وقال تعالى (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) الحاحا

أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ) ومن لا كسب له من أولئك المعطلين لا يمكنه الانفاق (إن أنفق) إلا من ذلك الخبيث

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) وقال عليه الصلاة والسلام (اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول [٢]) وقال (لا تلحفوا فى المسألة فوالله لا يسألنى أحد منكم شيئا فتخرج له مسألته منى شيئا وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته) وقال عليه السلام (لو تعلمون ما فى المسألة ما مشى أحد إلى أحد يسأله شيئا)

وقال على كرم الله وجهه لابنه الحسن فى وصيته له . يابنى إن استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل . ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا . فإن اليسير من الله تعالى أكرم وأعظم من الكثير من غيره . وإن كان كل منه كثيرا

---

(١) الذين تنفق عليهم

وقال لقمان لولده . يابنى إياك والسؤال فإنه يُذهب ماء الحياء من الوجه . وأعظم من هذا استخفاف الناس بك

وقال أكثم بن صيفى . أفضل من السؤال ركوب الأهوال

وقال شريح من سأل حاجة فقد عرض نفسه للرق . فإن قضاها المسئول منه استعبده بها . وإن رده عنها رجع كلاهما ذليلا . هذا بِذُلّ البخل . وذاك بذل الرد

وقال رجل لابنه . إياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه

وقال بعض الحكماء . احتج إلى من شئت تكن أسيرَه . واستغن عمن شئت تكن نظيره . وأنعم على من شئت تكن أميره

وقال أحد الصلحاء . أقرب مايكون العبد من الله إذا سأله . وأقرب مايكون من الخلق إذا لم يسألهم

وقيل لأعرابى ماالسقم الذى لايبرأ . والجرح الذى لايندمل [1] قال حاجة الكريم إلى اللئيم

وقيل من لم يستوحش من ذل السؤال لم يأنف من لؤم الرَّد

وأنشد ثعلب

---

(١) لايبر

من عف خف على الصديق لقاؤه

وأخو الحوائج وجهه مملول

وأخوك من وفرت مافي كيسه ... فإن عبثت به فأنت ثقيل

وقال الشاعر

لعمر الله ما عوّدتُ نفسي ... خضوعا لامرئ فيه ابتذال

أيرضى من له عقلٌ ورأيٌ ... تعاطي ما عليه به وبال

وقال غيره

لا تحملن من الأنا ... م عليك إحسانا ومنّه

واختر لنفسك حظها ... واصبر فإن الصبر جُنّه[1]

منُّ الرجال على القلو ... ب أشد من وقع الأسنه

وقال غيره

لا تحسبن الموت موت البِلَى[2] ... لكنما الموتُ سؤالَ الرجال

كلاهما موتٌ ولكنّ ذا ... أشر من ذاك لذل السؤال

وقال غيره

ما اعتاض باذلُ وجهه بسؤاله ... عِوضا ولو نال الغنى بسؤاله

وإذا السؤال مع النوال[3] وزنته ... رَجح السؤال وخفّ كلُّ نوال

---

(١) سترة (٢) الفناء (٣) العطاء

ذم الحرص والطمع

الحرص والطمع رذيلتان كبيرتان . وهما أصل الجشع وعدم الرضا بما قسم الله للمرء من الرزق . وتكالب النفس على طلب الزيادة ولو من غير طرقها المشروعة . وليس ما نراه من الجرائم الكثيرة من سرقة وقتل وغيرهما إلا أثرا سيئا من آثار الحرص على الدنيا والطمع فيها . فلا يقف صاحبهما عند حد . ولا ينتهي إلى غاية . وتكون عاقبته الهلاك لا محالة . ولو نبذ الحرص والطمع وراء ظهره . ورضى بما كسبت يداه من رزق حلال لكفاه ذلك وعاش عيشة هادئة مرضية

قال الله تعالى (يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) وقال جل شأنه (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

وروى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إياكم

والطمع فإنه الفقر الحاضر) وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال (أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله أوصني وأوجز فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليك بالإياس [1] مما في أيدي الناس . وإياك والطمع فإنه فقر حاضر . وإياك وما يعتذر منه) وكان يقول في دعائه عليه السلام (اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع [2])

وقال علي كرم الله وجهه. ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع . وقال. أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع

وقال بعض الحكماء من أراد أن يعيش حرا أيام حياته . فلا يُسكن قلبه الطمع

وقال أحد الفلاسفة . العبيد ثلاثة . عبدُ رقّ . وعبد شهوة وعبد طمع

وقيل للإسكندر . ماسرور الدنيا . قال الرضا بما رزقت منها قال فما غمها . قال الحرص عليها

وقيل الحرص مفسدة للدين والمروءة . ومن لزم الطمع عدم الورع

وقال أبو العتاهية

{١} اليأس (٣)دنس

لقد لعبت وجدّ الموت فى طلبى * وإن فى الموت لى شغلا عن اللعب
لو شمّرت فكرتى فيما خُلقت له * ما اشتد حرصى على الدنيا ولا طلبى

وقال أبو العباس أحمد بن مروان

وذى حرص تراه يلُم وفراً[1] لوارثه ويدفع عن حِماهُ
ككلب الصيد يمسك وهو طاوٍ[2] فريسته ليأكلها سواه

وقال الإبشيهى

أيا من عاش فى الدنيا طويلا وأفنى العمر فى قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد إليك عفواً أليس مصير ذلك للزوال

وقال محمد بن حازم

يا أسير الطمع الكا ذب فى غُل الهوانِ
إن عز اليأس خير لك من ذل الأمانى
سامح الدهر إذا عز وخذ صفو الزمانِ
ربما أعدم[1] ذو الحر ص وأثرى ذو التوانى

وقال صالح بن عبد القدوس

لا تحرصن فالحرص ليس بزائد * فى الرزق بل يشقى الحريص ويتعب

---

(١) الوفر من المال الكثير الواسع (٢) جائع (٣) افتقر

وقال الشاعر

من ملك الحرص القياد لم يزل * يكرع[1] من ماء من الذل صرى[2]
من عارض الأطماع باليأس رنت * إليه عين العز من حيث رنا

وقال غيره

وجانب الحرص والأطماع تحظ بما * ترجو من العز والتأييد في عجل

البعد عن الفحش في القول

هو تجنب المرء النطق بالألفاظ البذيئة . والكلمات المبتذلة والتبرؤ من سماعها . والعمل على محاربتها . لما تجلبه من العداوة والبغضاء . وتجره من المنازعات والمشاحنات التي قد تنتهي بأوخم العواقب . وأسوأ النتائج . فتتفكك عرا المحبة . وتنقطع روابط الألفة . ويحل الفساد محل النظام . والخصام محل الوئام . وإذذاك تسوء الأحوال . وتضطرب رحى الأعمال

قال الله تعالى (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) وقال جل شأنه (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ[3] أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ

---

(١) كرع من الماء تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفه ولا بإناء
(٢) الدائم الذي طال مكثه (٣) كل باطل وما لا يجمل من القول والفعل